تأبين الدكتور صروف

تمهيد

« شعر رجال الثقافة العربية بخسارة فادحة منذ رحل الى الدار الآخرة رجل العلم والفضل والاستقامة المأسوف عليه الدكتور يعقوب صروف منشىء مجلة المقتطف. وقد حفزت المروءة جماعة من كبار المثقفين والمتأدبين كما حفزت الصداقة في الزمالة وحفز التقدير رجال الصحافة فتألفت منهم لجنة جعلت غايتها الوفاء للرجل وقد ذهب شهيد جهاد طال عشرات السنين . وكانت ابرز فكرة عنت لهم ان يقيموا حفلة تأبين كبيرة يتبارى فيها الخطباء في ذكر مناقب الفقيد العظيم » (١)

وقد « تهيأ للاحتفال الفخم الذي اقيم في مساء امس الاول بدار الاوبرا الملكية تأبيناً لفقيد العلم والصحافة المرحوم الدكتور صروف من مظاهر الروعة وآيات الجلال مالا يكاد يتهيأ لغيره من حفلات التأبين واجتماعات الرثاء . ذلك ان كل من انتظمهُ هذا الاحتفال كان يحسُّ برابطة تربطهُ بالفقيد فاذا لم يكن صديقاً كان زميلاً وان فاتتهُ هاتان الصفتان لم تفتهُ الصلة الادبية التي كان المقتطف داعيها للفقيد في مصر وفي غير مصر من الاقطار العربية

« وكان الاحتفال بما جمع من كبراء المصريين وزعماء الامة واعلام الادب والبيان في مصر مظهراً من مظاهر تكريم العلم وآية على الاعتراف بالجميل ومثلاً تضربهُ مصر في تقدير العاملين وتخليد اسماء العلماء » (٢)

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر موعد هذه الحفلة فأخذ المدعوون اليها يفدون قبل تمامها وكان في مقدمتهم حضرات اصحاب الدولة والمعالي والسعادة عبد الخالق ثروت باشا رئيس مجلس الوزراء السابق ورئيس الحفلة الشرفي ومصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ويحيى ابراهيم باشا والوزراء الحاليين جميعاً والاستاذ ويصا واصف بك رئيس مجلس النواب واسماعيل صدقي باشا والاستاذ محمود بسيوني وكيل مجلس الشيوخ وكثيرون من أعضاء البرلمان واصحاب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة والسيد محمد

(١) عن جريدة البلاغ تاريخ اول ابريل (٢) السياسة تاريخ اول ابريل

رشيد رضا والشيخ عبد الغني العريان وحمود صدقي باشا محافظ العاصمة ورشوان باشا محفوظ وكيل وزارة الزراعة وعبد الرحمن باشا رضا وكيل وزارة الحقانية وأصحاب الدولة النائب البطريركي للروم الكاثوليك ومطران الارمن الارثوذكس ومطران السريان الكاثوليك وغيرهم من رجال الدين واللواء منيم موصلي باشا وانطون سثاقه باشا والاميران بيشار وجورج لطف الله وقريناتها . وحضر الحفلة طائفة كبيرة من فضليات السيدات تتقدمهن حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي

وكان حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس الاحتفال الشرفي يجلس في البنوار الايمن أما حضرات اعضاء الاحتفال فكانوا يجلسون على المسرح وفي مقدمتهم صاحب المعالي علي الشمسي باشا وزير المعارف العمومية ورئيس الاحتفال. وجلس على المسرح كذلك هيئة نقابة الصحافة وحضرات خطباء الحفلة وشعرائها والدكتور العلامة فارس نمر وحضرة صاحب السعادة سعيد شقير باشا ؛ وكانت ارملة الفقيد واسرته تجلس في البنوار الايسر ومعها بعض السيدات

كلمة وزير المعارف

يا حضرات السادة : كانت الفكرة التي اوحت الى لجنة التأبين ان تسند رياستها اليَّ هي ان الفقيد الكريم كان معلماً أمضى شطراً طويلاً من الحياة في خدمة العلم والادب . وقد نالت هذا الشرف الذي ندبتني اللجنة لهُ لتتمكن من التأبين الحق لهذا الراحل الكريم

لقد اخرج الفقيد رحمهُ الله تلاميذ عديدين ظلوا دائماً متعلقين بهِ مستزيدين من فضله فكانت مهنتهُ مثلاً جميلاً لاحسن الصلات بين المعلم وتلميذه . واعتقد انني معبر عن شعور المصريين جميعاً فيما اعرب عنهُ من التأثر العميق والاسف الخالص لان الفقيد الكريم اداى اجل الخدمات للغة وكان اساساً متيناً في الصحافة المصرية وبعث منذ عشرات السنين نهضة فكرية لم تكن ظروف ذلك الحين توفق اليها

فبالاسف العميق اقدم التعزية الخالصة لاسرة الفقيد واهله ولاسرته العامة قراء المقتطف والمقطم الذين نشر عليهم كثيراً من آرائه القيمة ومباحثه الجليلة وأسألهُ تعالى ان يعوضنا خيراً في فقيدنا الكريم. واني اترك تفاصيل القول عن الفقيد الى خطباء الحفلة

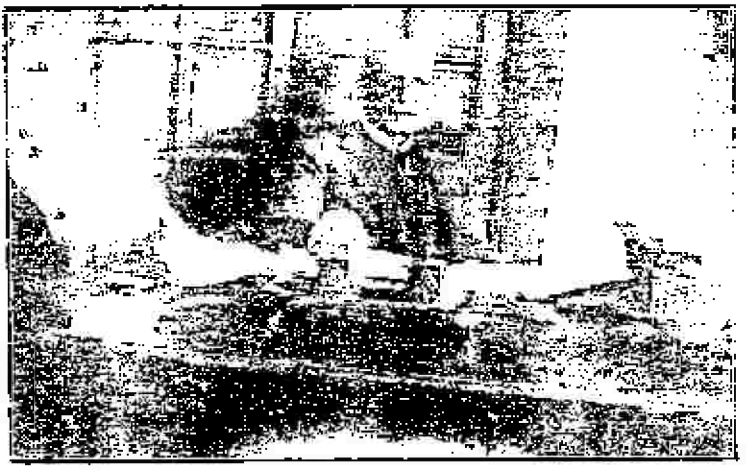

المرحوم الدكتور صروف في مكتبه بداره في جردن ستي

المرحوم الدكتور صروف في مكتبه بدار المقتطف والمقطم

منتطف مايو ١٩٢٨
امام الصفحة ٥٥٧

كتاب جامعة بيروت الاميركية

حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا

ان الجامعة الاميركية في بيروت توء اليوم ان يكون لها شرف الاشتراك مع الذين يقومون باكرام ذكرى العلامة المأسوف عليه المرحوم الدكتور صروف

وانا في هذا المقام الذي لا يسعنا فيه الا ان نشعر بعظم الخسارة التي منينا بها بفقده يتغلب علينا الشعور العميق بالاعجاب باعماله الجيدة ونغتبط بما أوتيه في حياته من النجاح في تلك الاعمال العظيمة لخير الانسانية

ولحن اذا ذكرنا الدكتور صروف فلا نذكره فقط كاحد حربجي الجامعة التابعين ولكل كرجل فذ بمقدرته الفائقة وسمو مبادئه واستخدام مواهبه العظيمة لخدمة وطنه وابناء عصره

وهو كزعيم كبير بين المتكلمين باللغة العربية قد بذل جهداً عظيماً في نشر العلوم العصرية بين ابناء تلك اللغة وفي تضييق قواعدها على الاصطلاحات العلمية الحديثة وقد نقل الى الشرق بروح الايمان والاعتدال كلّ ما يهمهُ من الافكار والتحولات الغربية النافعة وبشخصيته الممتازة وذكائه النادر مع جده ونشاطه ومقدرته العظيمة على التأليف والكتابة قد ساعد على ازدياد حسن التفاهم بين الشعوب والاجناس المختلفة وعلى تقدم بلاده تقدماً مبنيًا على اساس التمدن الوطيد

واننا نتحد اليوم مع الذين عرفوا الفقيد العظيم شخصيًا او من كتاباته المنتشرة في انحاء المعمورة بتقديم الاكرام اللائق لذكراهُ الخالدة ونتهلل قلبيًا بما اوتيه من النجاح الباهر في خدمة الجنس البشري خدمة مبنية على حرية الفكر والتعمق في المعرفة والاطلاع مع سمو في الاخلاق والمبادىء الشريفة نائب الرئيس

—o:o—

كلمة الدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية

معالي الوزير : سيداتي . وسادتي :

اذا كان لكل انسان في هذه الحياة رسالة يجب ان يؤديها . اذا كان على كل انسان واجب يفرضهُ عليه نظام الجماعة . او يفرضهُ هو على نفسه طائعاً مختاراً ليكون لهُ

في بناء الانسانية نصيب واضح. فان الفقيد الذي نحتفل الآن بذكراه قد ادى الى الشرق الادنى بأسره، والى مصر بخاصة، رسالة قيمة باقية الاثر. رسالة بدأها منذ حوالي خمسين عاماً. ولم ينصرف عنها الى عالم الخلود الا منذ شهور.

لست اقصد في موقفي هذا الى تبيان تاريخ الفقيد مولداً ونشوءاً وشباباً وشيخوخة ولا الى تفصيل تلمذته تلميذاً وتعليمه استاذاً ولا الى مراحل ارتقائه في مدارج العرفان مرحلة فمرحلة

انما اريد في هذه الدقائق المعدودة ان اشير الى صفات هذه الشخصية الشرقية التي خدمت العلم والآداب والفنون واللغة العربية، خدمات كانت من اكبر عوامل النهضة الشرقية في زماننا الحديث.

رسالة الفقيد توحي الينا كيف تكون المثابرة وكيف يخدم العلم وكيف تخدم اللغة العربية

فاما المثابرة فما احوجنا لتكرار ذكرها والحث عليها بالاشادة بذكر من تخلقوا بها

كم من صحف ومجلات نشرت وتطوى. وكم من همم كانت تهبُّ هبوب العواصف ثم تركد. وكم من مشاريع ولاسيما في ذلك العهد عهد المقتطف كانت تؤسَّس في المساء لتذيب اساسها شمسُ الصباح. وفي ذلك العهد عهد التردد والتهيب أنشأ الفتى الهادئ الوديع المتواضع صروف مع اعوان كرام صرحاً ممرداً من صروح العلم والفن والادب. انشأه رويداً رويداً فجعل يضع كل يوم حجراً ويقيم كل شهر ركناً، واذا بنا اليوم امام هذا البناء الشامخ الحافل بطرائف الثقافة ونتائج العقول

رجل لا يفرح الطبول لاعلان مواهبه والزهو بنفسه يدأب هذا الدأب وينقبض في الوصول الى غرضه السامي هذا الانقباض. رجل كهذا الذي نذكر ليس فقاعة من فقاقيع الماء تبدو منتفخة لماعة فاذا صادفتها نسمة انفجرت وبادت، بل هو ركن متين صلب تقوم على كواهل أمثاله مدنيات الشعوب، ويجب ان يقتدي بامثاله شبابنا الذين يطمحون في المجد الصادق

ايها السادة: كان فلاسفة اليونان الاقدمون من الرواقيين يجعلون خلة المثابرة في سبيل الحياة المعنوية والعلم اساساً للفضيلة. ذلك لانها دأب وكدح في غير فوائد البدن، ولانها رياضة للارادة على ان تكمن للعناء دون ان تشغلها شواغل الحياة المادية وزخرف الدنيا ومتاعها

وهذا الذي نشيد اليوم بذكره كم صابر وجالد، فضحى براحة الجسم في سبيل

الاستعارة والاثارة . وكم ضنَّ على جسمه بهدآت الليل في سبيل التحضير والاذاعة وكم حرم نفسهُ لذة الرياضة واللهو والترف — وكل ذلك يسر لهُ — وكم جهد في تحويل ما وصل اليهِ من انوار العلم الى عقول الالوف من القراء

لسنا نزعم ان خدمة الفقيد للعلم كانت خدمة المستكشف او خدمة المخترع او خدمة الذاهب في انواع التفكير مذاهب لم يسبقهُ اليها العلماء بل كانت خدمة الناشر والمذيع ، وخدمة المنقب يبحث عن حاجات بلاده وقومه فيرضي هذه الحاجات بما ينقل الى المتعطشين من ابناء الشرق من علم مهضوم ، وفكر واضح ، وثقافة تمثلت في صورة عربية ، لا يأباها ذوق لغتنا ولا تنفر منها طباعنا

ولم تكن حاجة البلاد العربية في ذلك الوقت الى علماء مبتكرين بقدر حاجتها الى علماء يعممون بيننا معارف الغرب ويوطنون لنا منها ما عزَّ منالهُ

وتوطينُ العلوم والمعارف ليس هو بافضل الهين ، وليس هو في متناول كل مشتغل بالعلم ، ومن ذا الذي يستطيع ان يتصدى لمختلف العلوم ومتنوع الفنون والآداب ، ليدني للناس قطوفها دون ان يكون هو نفسهُ واسع المعارف او موسوعة من المعارف

ولقد كان صروف ذلك العالم الذي اختص بانواع من العلوم كعلوم الكيمياء والطبيعيات والذي اصاب من اكثر فروع العرفان ما لا يجعلهُ غريباً عنها ، اذا عرض لنقل شيء منها الى ابناء العربية ، واذا صادفهُ باب او مؤلف لم يكن لهُ بهِ سابق عهد لم يتردد لحظة في الجهر بان لا علم لهُ بهِ وذلك شأن العلماء الاسناء

قرأت للاديب العقاد في جريدة البلاغ ما يأتي : « لقيتهُ (اي صروف) على اثر انتخاب برجسون للاكاديمي الفرنسية فحادثتهُ في آراء هذا الفيلسوف والمقابلة بينهُ وبين وليم جيمس الذي يعرف عنهُ الدكتور غير قليل فقال لي اني لم اقرأ شيئاً لبرجسون هذا . ثم ضحك وقال أيعجبك هذا الاعتراف ممن يسمون فلاسفة »

ايها السادة

كان الفقيد طالباً مدققاً محققاً مخلصاً للعلم لا ينحرف عن الطرائق العلمية في كتاباته ومباحثه لكنهُ مع ذلك ظل يرعى في وجدانه حرارة الايمان بالروح وعالمها الآخر . كان واقفاً على العلوم المادية الحديثة وقوفاً دقيقاً لكنهُ لم يكن كبعض العلماء الماديين يريدون من المادة تعليلاً لكل شيء مبدأ ومصيراً ، بل كان رحمهُ الله لا يرى تناقضاً

بين ما كان يتصل بنفسه من نزعات روحانية وعلم مادي. ويتم على اتساع نفسه لحاجات العلم وحاجات الايمان قوله في منظومة طريفة

اما واجسامنا ليست سوى صور ... مشكلات بأشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت ... في شكل مستودع للنفس جثماني
حتى اذا تم في الدنيا تطورها ... طارت الى منزل في الكون روحاني
والتطور احكام مقررة ... والنفس والجسم في الاحكام سيان
لا بد للعلم من يوم يفوز بما ... يبين الحق فيه خير تبيان

وعلى هذا النحو من ارسال الفكر طلقاً يمدو وفق نظامه وقوانينه العلمية ووصل القلب والوجدان بما يمهد لهما الراحة في ظل الايمان . على هذا النحو من الثقة بالفكر وقوته وخشوع النفس عند صخرة اللانهاية والابدية التي يرتد عندها الفكر حائراً . على هذا النحو من تقدير طموح الفكر وتروع القلب استطاع صروف ان يفسح في نفسه مجالاً للتوفيق بين اصول العلم واصول العقائد . وعلى هذا النحو ثابر الفقيد في خدمة العلم وعلى هذا النحو ارضى الفقيد نزعة العقائد

oo

وهل لي ان اقول ان خدمة الفقيد للغة العربية لم تكن اقل شأناً ولا اقل بروزاً من خدمته للعلم من سبيل نشره واذاعته . ويكفي ان اقرأ لكم من الجزء الرابع من مقتطف سنة ١٩٢٧ ما كتبهُ الفقيد في رسالة موجهة الى المعلمين في مدارس فلسطين ليظهر مقدار حرصه على تكريم اللغة العربية بالعناية بها وبتعليمها

قال رحمهُ الله « ان تثقيف العقل يتناول اموراً كثيرة اولها التوفر على تعلم اللغة الوطنية او بذل المعلم همتهُ لكي يعلم تلاميذه لغتهم حتى يحسنوا فهمها وكتابتها لا لأن اتقان اللغة يفيد المرء فائدة كبيرة كاتقان صناعة الطب او صناعة المحاماة بل لان من يحسن لغتهُ يزيد اكرامهُ لنفسه واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيره على فهم ما يقرأهُ من العلوم والفنون الخ »

ولقد كانت النزعة التي تنم عنها هذه الكلمة توحي وحيها للفقيد مدة حياته العلمية الطويلة . فان مجلة المقتطف التي انشئت في سنة ١٨٧٦ اي منذ اكثر من نصف قرن قد ادت الى اللغة العربية خدمات تجل عن كل حمد وثناء . فمن ابواب في الفنون والعلوم لم تكن مطروقة في لغتنا قد فتحت على مصاريعها في المجلة التي كان يتولاها الفقيد الى

الفاظ عربية قد استخدمها هو واعوانه لعبارة الى اساليب سهلة ممتعة في البحث والنقد وشتى فروع الثقافة ما زال الفقيد بها حتى جعلها اداة شائعة بين اقلام الكتاب والباحثين. وعلى الجملة فهذه المجلدات الضخمة من المقتطف التي تشبه ان تكون دائرة معارف عربية فصيحة العبارة جلية المعاني هي اليوم ثروة قد وهبها الفقيد للغة العرب وكان لها فضل عظيم على كثير من المثقفين الذين لا علم لهم باللغات الغربية وفي عقل كثير من الاقلام والالسنة التي كانت تحسن بعض اللغات الاجنبية ولكن لا تحسن لغتها القومية

لذلك حق على كل ناطق بلغة العرب ان يقدر جهود الفقيد الكريم في سبيل هذه اللغة ويشاطرنا اليوم تحيتنا لذكرى الراحل الجليل ويشاطرنا الرثاء لاهله وذويه ومعارفه فضله ولاسيما للسيدة البارة زوجه الكريمة التي ملأت عليه حياته سعادة قوّت عزيمته في العمل وصديقه ورفيق صباه وعونه الوفي في الحياة الحافلة بالآثار الدكتور نمر

ونسأل الله ان يمد في حياتهما لخير الرسالة القيمة التي أداها فقيدها وفقيدنا وفقيد النهضة العلمية العربية خير اداء، ورسالة تطق بالمثابرة وخدمة العلم بنشره واذاعته وخدمة اللغة بانماء ثروتها

ان صروفاً في شبابه وفي كهولته وفي شيخوخته لخير مثال يحتذيه الشباب والكهول والشيوخ

كان صروف شجرة مباركة مثمرة للناس وما زالت دانية على هذا البذل والاثمار

« حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني »

كلمة اسعد بك لطفي

رئيس نقابة الموظفين

معالي الوزير . سيداتي . سادتي :

التاريخ ابو العبر . وكل حياة تحيا وتموت ولها بداية ونهاية وكل نهاية لها غاية . وكل غاية لها مدى ومقر . وهو الاثر . والاثر الصالح اصله ثابت وفرعه في السماء . وخير الآثار ما دعمه صاحبه بعينه . ومن الناس من يعيش ويفنى بغير آثار . ومنهم من يرغم أصدقاءه واخوانه ان يذكروه ويمجدوه بعد الممات . وكان من هذا النفر الدكتور صروف

كان من الباغين الاحرار الذين كونوا مجدهم على سواعدهم : هبط ارض مصر

ومصر مهبط العلوم : فالمقتطف هذا بين ثمار المعارف حديقة غناء هي المقتطف . وقدمها اليها ولم يرض ان يكون ضيفاً ثقيلاً على اهلها فوظف نفسهُ في ادارة المقتطف وجعل نفسهُ موظفاً مسئولاً وأحاط عملهُ بالحكمة والتبصر . وضرب المثل الاعلى في الاعتماد على النفس ولم يقتصر على ذلك بل كان كاتباً كبيراً وصحافيًّا قديراً وفيلسوفاً عظيماً وموظفاً امينًا . ولا اتكلم في الثلاثة الاول بل عن الاخير فقط لاني انا الموظف الذي يعرف تمامهُ

لم يكن صروف مما نال علاوة مادية يحسد عليها ولكنهُ نال اعلى الدرجات المعنوية فلقد كان مخلصاً في وظيفته فعاش فيها خمسين سنة او يزيدون . وما اطيب ان يصل الانسان الى مجد ويرى ثمرة عمله بعينهِ ولقد كان هذا شأن صروف فقد كان اداة عاملة بين الشرق والغرب ضرب للاخير مثلاً بان الشرقي شملة من الذكاء وان الشرق مهبط العلم والحضارة . ذلك هو العمل الطيب الذي قام بهِ واحسن من هذا انهُ عمل تحت ستار السكينة والتواضع فلم يرد ان يعلن بنفسهِ عن نفسهِ ولكن عملهُ اعلن عنهُ . لقد احسن صروف الى نفسهِ ووطنهِ والى اللغة العربية فليتلق في جوار ربهِ حسن جزائهِ واما انتم يا اسرة الفقيد الكريم فعزاء وصبراً

كلمة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز جاويش بك

سراقب التعليم الاولي بوزارة المعارف

سادتي الاكرمين :

كنا نجد مجال القول في فقيدنا الجليل كما نشاء ونتخيل من السعة والامتداد ولكن هل لدينا ذلك القلم او اللسان الذي يستطيع ان يحيط بشيء من مواهبهِ العالية وعلومهِ الغزيرة وادبهِ الجم وجهادهِ الاكبر ذلك الدهر الطويل الذي قضاهُ بيننا ؟

أو ليس من العبث ان يحاول احدنا وصف علوم ذلك الاستاذ العظيم ومعارفهُ بعد اذ بلي في قبرها بنانه وفنى ما لا يحصى من اقلامهِ طوال ذلك العمر المديد ؟

أو ليس من العجيب ان يقوم احدنا مقام التعريف برجل تعرف من قبل الى الدنيا العربية بسبعين مجلداً ضخماً من المقتطف حوت من العلوم والفنون والادب والمباحث القيمة ما اكسبهُ بحق مركز استاذ المطبعين وشيخ المربين ومفتي المستفتين في العالمين ؟

بذلك وحدهُ تعرف الدكتور صروف الى الدنيا العربية فلم تسول لهُ نفسهُ يوماً

ما ان يعلن بغير ذلك له اسماً أو يتصيد له شهرة وذكراً. ولولا ماكان من صرير اقلامه الدائم في مقصوراته لكان مثله في برج الخفي بالعلم وجهاده الصامت في سبيل اللغة العربية مثل السيح الناثب يصيب الارض الموات بلا خرير يسمع فيحييها وينبت البهيج من ازواجها

اذاً فليكن موقفنا ازاء الفقيد العظيم دائماً موقف المستعرض لبعض ما انفرد به من المزايا والفضائل والصفات التي كانت سر نجاحه العظيم في حياته الطيبة المباركة فان في ذلك من القدوة الحسنة والمثال الصالح ما يكون نبراساً للمستهدين ومناراً قائماً للمستهدين سادتي

اننا لنحس كلما تصفحنا آثار فقيدنا العظيم انه كان يشعر منذ بدء حياته العلمية ان من الجهل الاعجاب بالنفس وان من الافتتان بالرأي الانصراف عن الاستفادة والاستزادة وصدّ النفس عن مصافاة المخلصين والاستهانة بثمرات جهود الباحثين والمنقبين كما كان يعرف ان فوق كل ذي علم عليماً وان الانسان مهما بلغ مبلغه من العلم لا يبلغ منه الا قليلاً

كذلك نحس انه برغم ماكان له في شبابه من العبقرية والحذق والتفوق على زملائه ولداته لم يجد العجب والزهو سبيلاً الى نفسه البصيرة ولا مدخلاً الى قلبه الكبير. ولذا كان طول حياته ابعد الناس عن استجهال الناس واحرص المخلصين على طلاب الحقائق والتماس مواطن العلم الصحيح فكان طالب ثراه كلما عرضت له مسألة لا ينفك يراجع المؤلفات قديمها وحديثها باحثاً منقباً متحرياً وجوه الصواب موازناً بين ما قد يكون للعلماء من الرأي فيها. ذلك كيلا يقطع برأي في امر حتى يتحنه من سائر جهاته امتحاناً رائده النظرات المنصفة والمعرفة الصادقة

ولقد كان لنشأة فقيدنا الكبير العلمية الاولى اثرها في حياته العاملة فان ترعرعه في معاهد العلوم الرياضية والطبيعية والادبية جعل حياته العلمية والعملية فيما بعد حياة التحقيق والتدقيق والاناة والتأني بينة للحقيقة والرأي القاطع ولذلك عرفناه بغيضاً الى نفسه جوّ الادب الخيالي والشكوك المضللة والمخايل الفاسدة كما عرفناه في كتاباته صريحاً في مواطن الصراحة مقتصداً في النقد اميناً على الرواية متواضعاً في غير مسكنة

تحمل فقيدنا العظيم بهذه الصفات التي هي اهم صفات المصلحين والمعلمين فاستحق بذلك ان يشغل فيهم غير مدافع مكان الامام من المصلحين

اسس الدكتور صروف — ضاء مثواهُ — مقتطفهُ فاسس بهِ اعظم جامعة سيارة للثقافة العربية تخرج عليهِ فيها الملايين من المتخلقين بالضاد في اطراف الارض حيثما كان المقتطف كان الاستاذ صروف حتى كاد يكون اسما صروف والمقتطف كتابان مترادفان

عرف الناس فقيدنا العظيم بالنفس الغلابة والهمة الوثابة والجلد الحديدي والفوز بكل ما صبت نفسهُ اليهِ من جلائل الاعمال فهل عرفوا ان سر ذلك هو حبهُ للعلم واخلاصه لهُ وعشقهُ للعمل واخلاصهُ فيهِ ؟

كم سمعنا بمجامع علمية وأدبية اقيمت في بلادنا للنظر في امر اللغة العربية ولحمايتها واصلاح ما فسد من امرها وكان يكون من اعضائها الدكتور صروف فهل ترى لها اليوم من باقية سوى آثار جهود هذا الرجل وجهادهُ الفردي . ألا لقد اختفت جميعها حتى لم يبق من معالمها في سبعين عاماً سوى ما لذلك الرجل الذي يجب ان نعتبره « وحدهُ بحق » الاكاديمية العربية لذلك العمل الطويل

رأى الدكتور صروف ان العقول البشرية لا تنفك ترمي بمواليد جديدة ومبتكرات لا حصر لها وان السفائن والطيارات لا تنفك تقذف بمستحدثات الصناعات والمخترعات ثم رأى ان التجار والسماسرة والوكلاء ومصالح الجمارك لا يحتجزون ما تبلغهُ ايديهم من السلع والعروض التجارية حتى تعقد المجامع العربية لتنظر فيما يلزم لها من الاسماء جديداً اما بوضع جديد او احياء ميت او نحت او اشتقاق او اقتباس او تعريب بل رأى ان السلع والعروض والعقاقير والمآكل والمشارب سرعان ما تجد سبيلها بما رافقها من الاسماء الى المنازل والحوانيت والمعابد والابدان والاجواف غير منتظرة ما تفعلهُ المجامع ولا مبالية ما تكون عاقبة مركزها ازاء الفطاحل من اعضائها

رأى الدكتور جميع ذلك فلم تبح لهُ غيرتهُ على لغته — واللغات حياة الامم — ان يقيد بحياة تلك المجامع او يقف جامداً لا يتحرك إزاء غارات اللغات الاجنبية والتيارات الجارفة العلمية والصناعية بل تصدى لمقابلة الضرورات المختلفة بما رآهُ من العلاج ونحن وان كنا نخالفهُ في بعض رأيهِ لا بد لنا ان نسجل لهُ في هذا المقام خالد الشكر على ما احتمل في ذلك من المساعي المريرة التي انفرد بها برًّا باللغة العربية واحساناً الى اهلها وبرهاناً عمليًّا على سعة نطاقها وغنى كنوزها وكمال صلاحيتها للترجمة عن كل ما تلدهُ العقول الانسانية من المبتدعات والمبتكرات في مختلف اطوارها ودرجاتها فلقد طوق العالم العربي بذلك منة لا يجزيه عنها الا الله الذي وفقهُ اليها

صادقي : لقد كان يكون ارزه في استاذ العرب الدكتور يعقوب صروف مما لا يجمل عليه الصبر والفراغ الذي احدثهُ اختفاؤهُ مما لا يرجى ان يملأ لولا انهُ طاب ثراهُ قد ترك للامة العربية في جملة مبراته العظيم ذلك الخلف الصالح فؤاد افندي صروف فلقد استخلفهُ على منبره العام بعد ان انبتهُ نباتاً حسناً فخلقهُ باخلاقهِ المرضية وزودهُ بعلمهِ الواسع وابرزهُ للناس في صورتهِ الطيبة فلندع الله ان يرزقهُ من التوفيق والنفع ما رزق عمَّهُ من قبل حتى لا ينقطع عن الامم العربية صالح عملهِ ولا يخطس عن الابصار نافع اثرهِ

مرثية احمد شوقي بك

سحاؤك يا دنيا خداع سراب وارضك عمرانٌ وشيك خراب
وما انت الاَّ خيفة طال حولها قيام ضباع او قعود ذئاب
وكم ألجأ الجوع الاسود فأقبلت عليك بظفر لم يعفَّ وناب
قعدت من الاظعان في مقطع السرى ومرّوا ركاباً في غبار ركاب
وجُدت عليهم في الوداع بساخر من اللحظ عن بيت الاحبة نابي
أقاموا فلم يؤنسك حاضر صحبة ومالوا فلم تستوحشي لذهاب
تسوقين للموت البنين كقائد يرى الجيش خلفاً هيناً كذباب
رأى الحرب سلطاناً لهُ وسلامة وان آذنت اجناده بتباب
ولولا غرور في لبانك لم يجد بنوك مذاق الغمر شهد رضاب
ولا كنت للاعمى مشاهد فتنة وللمقعد الماني مجال وثاب
ولاضلَّ رأى الناشئ الغرّ في الصبا ولا كرَّ بعد الفرصة المتصابي
ولا حسب الحفار للموت بعد ما بنى بيديهِ القبر الف حساب
يقولون يرثي كلَّ خلٍّ وصاحب أجل انما اقضي حقوق صحابي
جزيتهمو دمعي فلما جرى المدى جعلت عيون الشعر حسن ثوابي
كفى بذرى الاعواد منبر واعظ وبالمستقليها لسان صواب
دعوتك يا يعقوب من منزل البلا ولولا المنايا ما تركت جوابي
اذكرك الدنيا وكيف ولم يزل لها اثرا شهم بفيك وصاب
حملنا اليك الغار بالامس ناضراً وسقنا كتاب الحمد تلو كتاب

وما انفكت الدنيا وان قل نبهـا ... لسان ثواب او لسان عقاب
الا في سبيل العلم خمسون حجة ... مضت بين تعليم وبين طلاب
قطعت طوالى ليلها ونهارها ... بآمال نفس في الكمال رغاب
رأى الله ان تلقي اليك صحيفة ... فنزهتها عن هوشة وكذاب
ولم تتخذها آلة الحقد والهوى ... ولا مستدى لغو وسوق سباب
مشينا بنوريْ علمها وبيانها ... فلم نتسرع إلاّ في شعاع شهاب
وعشنا بها جيلين قمت عليهما ... معلم نشء او امام شباب
رسائل من عفو الكلام كأنها ... حواشي عيون في الطروس عذاب
هي المحض لا يشقى به ابن غيبة ... غذاء ولا يشقى به ابن خضاب
سهول من النصحى وقفت بها الهوى ... على ما لديها من ربى وهضاب
وما ضعت بين الشرق والغرب مشية ... كما قيل في الامثال حجل غراب
فلم أرَ أتقى منك سمعة ناقل ... إذا وسم النقل الرجال بساب
وكم اخذ القولَ السريَّ مُعرِّب ... فما رده لاسم ولا لنصاب
وقدت على النصحى مخيرات غيرها ... فوالله ما ضاقت مناكب باب
وقدماً دنت يونان منها وفارس ... وروما فحلّوا في فسيح رحاب
تبتلت للعلم الشريف كأنهُ ... حقيقة توحيد وانت صحابي
وجشمت ميدان السياسة فارساً ... وكل جواد في السياسة كابي
وكنا وعمر في شباب فلم يزل ... بنا الدهر حتى فضّ كل شباب
رأى الثورة الكبرى فسلّ براعهُ ... لتحطيم اغلال وفك رقاب
وما الشرق الاّ اسرة او عشيرة ... تلمُّ بنيها عند كل مصاب

***

سلام على شيخ الشيوخ ورحمة ... تحدر من اعطاف كل سحاب
ورفاف ريحان يروح ويغتدي ... على طيات في الخلال رطاب
وذكرى وان لم نفس عهدك ساعة ... وشوق وان لم نفتكر بإياب
وروح السواني هل عرضن على البلى ... جمالك ام سترنهُ بحجاب
وهل صنَّ ماء كان فيه كأنهُ ... حياء بتول في الصلاة كعاب

ويا لحياة لم تدع غير سائل أكانت حياة ام خلية حاب
واين بدٌ كانت وكان بنانها يراعة وشيٍ او يراعة غاب
ولهفي على الاخلاق في ركن هيكل يبطن الثرى ورث المعالم خابي

***

نعيش ونمضي في عذاب كلذة من العيش او في لذة كعذاب
ذهبنا من الاحلام في كل مذهب فلما انتهينا فسرت بذهاب
وكل اخي عيش وان طال عيشهُ تراب لعمر الموت وابن تراب

كلمة الآنسة « مي »

هناك على ساحل البحر البعيد ، حيال جبال لبنان الشماء ، تقوم ابنية الجامعة الاميركية ببيروت . وبين تلك الابنية وامامها تمتد الساحات الفسيحة تتخللها طاقات خضراء من اشجار الصنوبر ، ولا تفتأ الامواج المتعاقبة تلثم حوافيها ليل نهار

هناك كان الطالب يعقوب صروف يتنزه في ساعات الفراغ مع صديقه الطالب فارس نمر فيتذاكران في الدروس ، ويتبادلان الآراء مسرحين الطرف في ذلك المرج الازرق المتحرك. فهل يا ترى كانت تنطلق اشباح احلامهما الى الامام فيشرفان على وقائع المستقبل ؟ اكان الصديقان يعلمان انهما بعلمهما وجهودهما سيصبحان قطبين عظيمين بين اقطاب رجال المشرق ؟ أكانا يدريان — ومصر يومئذٍ كسوريا ولبنان ، قطعة من الدولة العثمانية — انهما سيجوزان البحر الى الجانب الآخر من الوطن الكبير ، فيشيدان اثراً عظيماً لهُ من الشأن ما تجلى في هذه الاعوام الحزين ؟ أكانا يشعران بانهما سيشهدان ساعة التمجيد والتعظيم في يوبيل المقتطف ، وان تلك الساعة ستتكرر ولكن في اسى واكتئاب ، بعد رحيل الدكتور صروف ؟

في مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ عامين الا شهراً واحداً ، اجتمعنا هنا للاحتفاء بعيد المقتطف الخمسيني ، وكانت هذه الدار داوية باسم صروف . في وسط هذا المسرح ، كان ينتصب تمثال فاخر جادت به اريحية المهاجرين الى الديار الاميركية من السوريين واللبنانيين . وحيال التمثال الصامت الجامد كان من مصر شخص حيٌّ ناهض تكوَّن من تمثل صاحب العرش ، ومن جميع الهيئات الرسمية والاحزاب السياسية ، والنزعات الفكرية . تمت تركيا المقدور من تاريخ تطورها فصارت لهذه الاقطار صديقة بعد ان

كانت سيدة . فاذا بك يا مصر ، تتحركين تحرك الاسود ، وتتبوئين المكانة المعدة لك بين اقطار الشرق الادنى ، وتتولين الزعامة في رفع شأن العلم وتقدير الفضل كما انت زعيمة في الصيحة العالية للحرية والاستقلال وكما انت زعيمة في الدعوة الشريفة الى الوحدة الوطنية والقومية !

وعند ما نهض الدكتور صروف يلقي كلمة الشكر — ساعوني ، ايها الخطباء والشعراء ! — كان اجمل من كل خطبة وكل قصيدة وكل نشيد ، موقف ذلك الشيخ الجليل الوديع المثل شاباً على طول عهده بالحياة ، المثل يقظة على طول عهده بالجهاد ، المثل نشاطاً عليًّا وعمليًّا على ما اوهى العمل من خيوط قلبه ، وافنى العلم من ذرات دماغه

تكلم متأثراً ، فادركنا في لحظة كم هو قاسٍ في وحدته الفكرية ، وكم كان ثباته عظيماً في انزوائه العلمي . فكان حقًّا ان تحين ساعة الانصاف . كان حقًّا لذلك العامل العظيم في ميدان الثقافة الشرقية ان يسمع قبل الرحيل صوت مصر والشرق متألقاً من جميع الاصوات ، منسوجاً من جميع الافكار ، متوحداً من جميع القلوب !

***

ولكني لا اخشى المصارحة بان ذلك الاحتفال على جلاله ، كان ناقصاً من احدى نواحيه . لقد كان وجود المرأة فيه محسوساً ، ولكن واحدة منا لم تقف على هذا المنبر . مع ان الدكتور صروف الذي كان مجدداً في اسلوب الانشاء ، وطريقة التفكير ، وصيغة التعبير ، وتقديم الغذاء العلمي من مكنونات الشرق ومبتكرات الغرب جميعاً ، كان مجدداً في احترام المرأة والدعوة الى تعليمها وتثقيفها ، في نشر مآثرها وارشادها الى واجباتها ، في العطف على يقظتها وفي حث الاقلام النسائية على الكتابة والافصاح

والادلة على ذلك عديدة في المقتطف منذ نشأته . فمن باب تدبير المنزل الى باب شؤون المرأة وتدبير المنزل ، الى باب شهيرات النساء المتفوقات في علم او فن او عمل ، سواء من نساء الماضي والحاضر في مختلف الامم . وقد قامت بتحرير هذا الباب حيناً ما السيدة ياقوت صروف ، قرينة الفقيد الكبير كما كتبت في المقتطف المرحومة السيدة مريم نمر مكاريوس والمرحومة السيدة رحمة صروف . وترجم الدكتور صروف فيما ترجم ، رواية وضعتها بالانجليزية السيدة ليلى هانم كريمة المرحوم خليل باشا شريف ، احد وزراء الدولة العثمانية سابقاً واخي المرحوم علي باشا شريف رئيس مجلس شورى القوانين السابق . وعني

بطائفة من اهم الكتب العربية والافرنجية لمعالجة الموضوعات النسائية، وايّد قاسم امين في كتابيه عن تحرير المرأة كما عاد الى ذلك الموضوع الرئيسي من دعوة قاسم بعد وفاة زعيم اليقظة النسوية في وادي النيل.

كذلك يبدو اكرام الدكتور صروف للمرأة في رواياته الأدبية الثلاث: «فتاة مصر» و«غادة الفيوم» و«اميرة لبنان»؛ حيث جعل لكل من البطلات شخصية كبيرة جذابة جمعت بين جمال الانوثة، ورقة العواطف وعلو الادراك، وسمو المعارف، وثقافة المواهب مع الصيانة الاخلاقية. وكل ذلك دليل على ان في خياله مثلاً أعلى للمرأة اراد ان يثبته في عالم المحسوس. وقد اثبته في الواقع بعنايته بكريماته الثلاث وتثقيفهن وتعليمهن على خير مثال فجاءت كل منهن نوراً في محيطها. وتيسر لهُ ذلك بميله الفطري وبمساعدة المرأة الفاضلة التي منَّ الله عليه بها شريكة لحياته. فاني اذكر اننا عند ما كنا في مجالسنا نتحدث عن الحجارة الكريمة، كان الدكتور صروف يبتسم قائلاً: «اما انا فيجبني الياقوت، وعندي منهُ شيء كثير!»

***

وكيف انسى تشجيعهُ لي والحاحهُ الشديد عليّ بالكتابة، وافساحهُ صدر المقتطف لكل ما نشرتهُ فيه عن الكاتبات بالعربية وعن اليقظة النسائية؟ فهو الذي بعد ان نقل تأبيني لباحثة البادية يوم وفاتها، اقترح عليَّ ان الخص للمقتطف آراءها ودعوتها الاصلاحية. واذ هممت بالكتابة وجدت ان فصلاً واحداً يضيق دون المراد، فكان الفصل سلسلة فصول هي الاولى في اللغة العربية كُتبت على طريقة البحث الحديث عن كاتبة عربية بقلم كاتبة عربية. ولما رأيت انباب مفتوحاً تابعت الكتابة عن الشاعرة المصرية عائشة عصمت تيمور وعصرها ووسطها؛ وعن الاديبة اللبنانية وردة اليازجي وشعرها ونثرها. ثلاثة كتب، على عيوبها، انظر لها الوحيدة من نوعها في تاريخ الآداب العربية. والفضل فيها للدكتور صروف الذي رفع موضوع المرأة الى جانب الموضوعات العلمية والفلسفية واللغوية والتاريخية في مجلته الخطيرة وبذلك انالني أنا شخصيًّا، وانال المرأة الشرقية عموماً، عذوبة عطفه وشرف عنايته. وعوَّد العلماء والعظماء وجمهور القراء قبول الموضوعات النسائية كأهم ما هو حري بالبحث والالتفات.

فاذا ما احصيت مآثر هذا العالم الحكيم لم تكن هذه المأثرة اقلها. ويوم يذكر التاريخ المحقق المنصف اسماء منشطي اليقظة النسائية والعاملين لها، تحتم ان يكون للدكتور

صروف بينها مكان ، وكان بخدمته هذه كما بخدماته الاخرى ، في طليعة الخالدين

***

ذكرت الخلود ، ايها السادة والسيدات . وهي كلمة طالما تداولناها في الاعوام الاخيرة ، فما هو تعريف الخلود ، ومن هو الخالد

اما خلود النفس بعد الموت فمنبثق من العقيدة الدينية وهو سر سحيق في كل ضمير حي وحاجة صميمة لا تقوم مقامها حاجة . وقد كان هذا الموضوع شغل الدكتور صروف الشاغل طول حياته . ولكن الخلود بمعناهُ الدنيوي او العلماني — ان صحَّ هذا الوصف — اي خلود الشخصية في هذا العالم بين بني الانسان — ترى ماذا نعني به عند ما نشير اليه

اهو بقاء الاسم الخالد متكرراً على الالسنة تتجاوب به الاصداء على توالي الاحقاب ؟ أمعناهُ ان مبادئ الشخص الخالد وتعاليمهُ تظل شائعة بين ابناء الاجيال الآتية تزكي منهم الهمم ، وتنيلهم المعلومات والفوائد ، وتوحي اليهم حب النشاط والعمل ؟ ام معناهُ ان بين ملايين الاسماء المنسية في هاوية الزمان ، هناك اسماء تظل خافقة كالرايات ، مضيئة كالمنائر ، هادية كالاعلام في الصحراء ، مشجعة كاصوات الحب والحياة

قد يكون للخلود في هذا العالم بعض تلك المعاني او كلها . ولكن لديَّ عن الخلود فكرة اخرى استسيحكم في الاصغاء بها اليكم

الخالد في تقديري هو الذي خطا بجماعته خطوة حاسمة في الميدان الذي تفوق فيه . الخالد هو الذي جعل وسطهُ ، بفضل جهوده ، خيراً مما كان قبل ولادته . الخالد هو الذي تقدَّم وأغنى جانباً من الشخصية العامة ، فكان لهُ في تكوينها اثر لا تمحوه الاعوام والدهور

وتلك الخطوة العلمية والثقافية التي خطاها الشرق في نصف قرن على يد المقتطف ، هي التي نسجلها للدكتور صروف في توديعه كما سجلناها من قبل في تحيته . انهُ خالد بها لانهُ عمل في تكوين الشخصية العامة واصَّلها لتتقدم في مراحل التاريخ والعمران

فلا تطرقي حزناً وأسى ، يا زوجة صروف انت التي قاسمتهُ ساعات الحياة في الوانها البهيجة والقاتمة وطعومها المريرة والسائغة . بل تعالى نسر بالخيال لزيارة ذلك الضريح البعيد في ظل التصون . وبينا تعاون ايدي الرجال النبيلة على ضفر اكليل التكريم والتقدير للفقيد الكبير ، فلنقدم لهُ نحن ، بالنيابة عن المرأة الشرقية ، زهرة الشكران مبللة بدموع القلب ولنودعهُ بهذه الكلمة الشهيرة لفيكتور هوجو :

« أيتها الشمس المتقية وراء الافق ، ان اشعتك باقية الانوار ! »

كلمة نقابة الصحافة القاها الدكتور هيكل بك

رئيس تحرير السياسة

ايها السادة : في هذا المكان نفسه ومن ستة أسابيع مضت كنا نؤبن صحفيًا من اعلام الصحافة اغتالهُ الموت وهو في ميدان الشرف يناضل نضالاً سياسيًا عنيفاً . كنا نؤبن صديقنا وزميلنا المغفورلهُ امين بك الرافعي الذي سقط شهيداً في جهاده السياسي وما يزال في عنفوان القوة وفي صدر العمر . وها نحن اليوم نؤبن علماً آخر هو المرحوم المغفور لهُ الدكتور يعقوب صروف فنذكر اذ نؤبنهُ شيخاً من شيوخ الصحافة قضى حياته في خدمة العلم من طريقها لم يعرف الكلال ولا السأم الى نفسه سبيلاً . شيخاً كان في مثابرته وصبره على بث الفكرة العلمية التي تحتاج الى الوقت الطويل ما كانهُ امين الرافعي في اندفاعه القوي لتحريك الجماهير

وليس منا من يذكر يعقوب صروف ومثابرته وصبره الطويل ولا يذكر أنا في هذا المكان نفسه ومن سنتين مضتا كنا نحتفل بربيل المقتطف الذهبي لانقضاء خمسين سنة على جهاد الدكتور صروف العلمي والاجتماعي من طريق الصحافة ويذكر حين ذكر هذا اليوبيل كيف اشترك قراء العربية جميعاً في انحاء العالم المختلفة فيه اشتراكاً قليًا دلّ على صدق تقدير قراء العربية جميعاً لهذا المجهود المجيد الجليل

والواقع ان حياة المغفور لهُ الدكتور صروف تتلخص في مجلة المقتطف. فقد عاش هذا الرجل صحفيًا بمعنى خاص غير المعنى الذي يتبادر الى الاذهان من كلمة الصحفي. عاش صحفيًا متخصصاً لناحية معينة هي نشر العلم وتوطئته على لسان الصحافة . ولذلك يعجب كثيرون اذ يقال لهم ان الدكتور صروف لم يكن لهُ اشتراك فعلي في تحرير جريدة المقطم التي يظهر انه عليها. وانهُ لم يمنَ يوماً من الايام عناية الصحفيين الذين يحررون الصحف اليومية بالشؤون السياسية ويعجب كثيرون كذلك اذ يقال لهم أن كل سطر من سطور مجلة المقتطف كان لا ينشر قبل ان يقف الدكتور صروف على كل شؤون نشره فهو الذي يضعهُ في المكان الذي يختاره من المجلة. وهو الذي يصححهُ التصحيح الاخير فاذا ظهر المقتطف كان اذن صورة نفسية للدكتور صروف اثناء الشهر الذي سبق ظهوره وكان مطبوعاً بطابع الدكتور صروف العلمي الدقيق

لم يكن الدكتور صروف اذن صحفيًا سياسيًا ، ولم يكن يعنى في حياته الصحفية

بشيء عنايته بشؤون العلمية ، فهو اذن كان صحفيًّا اختصاصيًّا ، ان صح اطلاق هذا التمييز على الصحفيين كما يطلق على الاطباء أو على المهندسين وقد تخصص هذا حتى ملك عليه العلم منذ اول تخرجه من الكلية الاميركية ببيروت كلّ نفسه فرأى فيه القوة المحركة لحياة الافراد ولحياة الجماعات . ولما كان الشرق اول نشأة هذا الرجل بعيداً عن تمثل الروح الغربية تمثيلاً يكوّن لنفس طبقات المتعلمين فيه فقد أخذ صروف نفسه بان يجعل الصحافة اداة نشر هذا العلم الذي احبهُ حبًّا جمًّا . والصحافة أداة قوية في تعميم العلم وتوطئته قوتها في نشر كل ما يختص بحياة الجماعة من اسباب التفكير والشعور

وفي سبيل نشر العلم بن طريق الصحافة قضى الدكتور صروف حياته بين جدران مكتبته يطالع ويثقب ويتابع تطور العلم وما يجد فيه من الآراء والمكتشفات ليجليها على الناس في المقتطف وهو في هذا كان مخلصاً للعلم والصحافة وهما محبوبان مستبدان يستنفدان من المخلص لهما كل حياته وصحته وقوته وهو بذلك راض كل الرضا مغتبطاً أشد الاغتباط . وان الذين رأوا الدكتور صروف في مكتبته آخر حياته وقد جلل الشيب رأسه وعجزت ضجة العالم الخارجي عن ان تصل الى مسمعه ، والذين شهدوهُ وهو يقلب في صحف كتبه بشغف وشوق يزيدان اضعافاً مضاعفة على تقليب الكثيرين اجمل الصور واعطر الرياض والذين لاحظوا انكبابه يكتب للمقتطف ثم انكبابه على تجارب صحف المقتطف قبل طبعها يعيد عليها آخر نظراته لتصحيحها هؤلاء جميعاً يقدرون مبلغ ما ملك العلم وما ملكت الصحافة على ذلك الرجل حياته ، ويقدرون مبلغ ما تحكم العلم وما تحكمت الصحافة في وجوده تحكماً استبداديًّا محبوباً ، ويقدرون مبلغ اخلاصه للعلم والصحافة اخلاصاً لم تشبه قط شائبة

ومحبة العامل عمله واخلاصه له هما أيها السادة قوام نجاح العامل ونجاح العمل جميعاً فاذا عدت المقادير للعامل في حياته فزادهُ ذلك محبة لعمله واخلاصاً له ثم كان عملهُ متصلاً بالعلم ونشره فذلك سر القدرة وسر تقدير الناس بل تقدير التاريخ للرجل وعمله. ولقد قضى المغفور لهُ الدكتور صروف اكثر من خمس وخمسين سنة في جده الصحفي لنشر العلم فاعترف العالم لهُ في حياته بفضل هذا الجهاد العلمي اجمل اعتراف وهو لاشك سيعترف لهُ بعد وفاته بهذا الفضل اخلص اعتراف واصدقه . وان اسرة الصحافة التي شرفتني نقابتها بالقاء هذه الكلمة بالنيابة عنها لتشعر فقدك المغفور لهُ الدكتور صروف باكبر الاسى وترجو الله لهُ الرضوان بمقدار اخلاصه الجم المتواضع للعلم والصحافة

مرثية حافظ بك ابراهيم

أبكي وعين الشرق تبكي معي ... على الاريب الكاتب الالمعي
جرى عصي الدمع من أجله ... فزاد في الجود على الطيّع
نقص من الشرق ومن زهوه ... فقد البراع المعجز المبدع
ليس لمصر في رجالاتها ... حظ ولا الشام في أروع
مصاب صرُّوف مصاب النهى ... فليبكه كل فؤاد يعي
كُرِّم بالأمس وأكفانهُ ... تنسجها الأقدار للمصرع
يا صائغ الدرّ لتكريمه ... صفهُ لنعاهُ من الأدمع
قد زين العلم باخلاقه ... فعاش ملءَ العين والمسمع
تواضع والكبر داء الفتى ... خلا من الفضل فلم ينفع
توامض العلم لهُ روعة ... ينهار منها صلف المدعي
وحلّة الفضل لها شارة ... أزهى من السيفين والمدفع
يشبع من حصل من علمه ... وهو من التحصيل لم يشبع
مبكراً تحسبهُ طالباً ... يسابق الفجر إلى المطلع
قد غالت الأسقام أضلاعهُ ... والرأس في شغل عن الأضلع
مات وفي أعلم صارم ... لم ينب في الضرب عن المقطع
صاحبهُ خمسين عاماً فلم ... يخن لهُ عهداً ولم يخدع
موفق أنّى جرى ملهمٌ ... ما ضلّ في الورد عن المشرع
لم يرم بارٍ سوى ربه ... ولم يحزهُ جاهل أو دعي
في النقل والتصنيف أربى على ... مدى ابن بحر ومدى الاصمعي
أي سبيل للهدى لم يرد ... وأي باب منهُ لم يقرع
يقتطف الزهر ويختارهُ ... كالنحل لا يعفو عن الانبع
فتحسب القراء في جنة ... عقولهم في روضها ترتعي
صروف لا تبعد فلست الذي ... يطويه طاوي ذلك المضجع
اسكتك الموت ولكنهُ ... لم يسكت الآثار في المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة ... في معهد العلم وفي المصنع

شكر اسرة الفقيد

بلسان صاحب السعادة السر سعيد باشا شقير

« ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصره وما اشرف خدمة هذا البلد واعمرها »

هذه هي الكلمات التي فاه بها المرحوم الدكتور صروف في آخر يوم من شهر ابريل منذ نحو سنتين ونحن خارجون معاً من هذه الدار عقيب الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي ثم زاد على ذلك قائلاً :

« ترى أتستحق يا سعيد هذا الاكرام وهل لنا حقيقة في مصر والشرق مثل هذا المقام — وهل ما فعلناه يستوجب حفلة باهرة كالتي شهدناها يضمها جلالة الملك فؤاد تحت رعايته وبرأسها وزير من وزرائه ويشترك فيها الامراء وسائر الوزراء وعظماء البلاد ونوابها وادباؤها على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ويبعث اليها سعد على رغم اعتلال صحته بكلمة يقول فيها ما قاله في المقتطف ومنزلته في مصر والشرق في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان »

ثم صمت هنيهة ونحن سائرون معاً وعاد فاستأنف الكلام عجباً بنفسه عما كان شاكاً فيه فقال :

« كلا — بل هذا الشعب كريم وقادته وكباره واصحاب الكلمة فيه اكرم فهم في خدمة العلم والعمل على نشره في البلاد يعطون ديناراً بدرهم وأخاف ان اكون قد قصرت في اداء واجب الشكر لهم في الحفلة ولا يُخرس اللسان مثل الشعور السيئ بالجميل

« ولكن يجب ان نحسن العمل اكثر وان نستمر على وقف اقلامنا ومواهبنا وارواحنا في سبيل خدمتهم ولا ندخر وسعاً في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان كما قال سعد لنبقى موضع ثقتهم ولكي لا يعتقد احدهم انهُ اخطأ في ظنه بنا فنسقط من المرتبة التي وضعونا فيها واذا لم يعدّ الله في اجلنا فتقومون انتم يا ابناء فاواخوانا بهذا الواجب »

هذا ما صحت عليه عزيمتهُ بعد تلك الحفلة وذلك الاكرام وهو ان يداوم الجهاد على رغم الخامسة والسبعين من عمره في خدمة الادب ونشر العلم في هذا القطر بواسطة المقتطف وسواهُ من المؤلفات مما كان قد اخذ لهُ العدّة وجمع الأهبة . ولكنهُ كان يخشى ان لا يعدّ الله في عمره الى ان يحقق امانيه ويوفي مصر وابناءها دين الجيل الذي اسندوهُ اليه فاوصانا نحن بابنائه ووضعهُ في اعناقنا

ولم تكن مخاوفهُ في غير موضعها فلم يأتِ العام الثاني على تلك الاقوال حتى كان ما خاف ان يكون ومضى في سبيل من مضى قبلهُ

وقفت هذا الموقف وفي هذه الدار منذ خمسة عشر عاماً نائباً عن متخرجي جامعة بيروت الاميركية اشارك الجمع بتكريم الراحل العزيز وتهنئته بعيد المقطف الذهبي وانا استهل الوجه باسم الفئة منتسبة الى ابن الجامعة التي تخرج فيها هو كان الاكرام الذي ناله يلحقني شيء منهُ بسبب صلة الادب والنسب بيننا

واليوم اقف في الدار عينها ضيق الصدر منقبض الوجه نائباً عن اسرته وذوي قرباهُ الذين انا واحد منهم لا للاحتفال بعيد آخر لهُ بل للبكاء عليهِ وسماع اقوال الخطباء والادباء في تأبينهِ ولتقديم واجب الشكر لكم لمؤاساتكم لنا في احزاننا ولعطفكم علينا في مصابنا وشتان بين الوقفتين

وكأني بروحهِ تناجيني في موقفي هذا من عالم الغيب وكأني به يخاطبني قائلاً :

«الم اقل لكم ما اكرم هذا الشعب واطيب عنصرهُ — رفعوا منزلتي حيًّا الى مستوى لا استحقهُ. وهذه حفلة اخرى لا تقلُّ عن تلك عقدوها وانا جثة هامدة في الضريح وأخذوا يباهون فيها بالخير من اعمالي ويعددون لي من المناقب والصفات ما كل اديب منهم اولى بهِ مني

«يفعلون ذلك كرماً وفضلاً منهم جبراً لنفوسكم الكسيرة ولمزية لفلوبكم الجريحة وتخفيفاً لاحزان قرينتي المقروحة واجفانكم فكيف تكافئونهم على هذا الصنيع؟»

ايها الحفل العزيز والراحل الكريم ان القوم لا ينتظرون مكافأة على صنيعهم هذا فهم اكرم اخلاقاً واطيب عنصراً حتى مما ظننت وان كان ظنك في كرم اخلاقهم وطيب عنصرهم اقصى ما ينتهي اليهِ تصور الفكر البشري في كرم الخلق وطيب العنصر. ومكافأتهم كمكافأة كل كبير النفس كريمها — سرورهم بما شرحوا بهِ صدرك حيًّا وخففوا بهِ من آلام ذويك حزناً عليك من بعدك

ولكننا على كل حال سنعمل كما تريد في خدمة هذا البلد العزيز الذي جعلناهُ وطننا كما جعلتهُ وطنك وسيضمُّ تربهُ رفاتنا كما ضمَّ رفاتك

وها هوذا اخوك الروحي وشريكك الذي وضعت يدك بيده منذ عهد الصبا قد استمرَّ في الجهاد على رغم سنهِ واعتلال صحتهِ وهو ومن معهُ ممن درَّبتهم على العمل ساهرون على اداء الواجب لا يخونون لك عهداً ولا يخلفون ظنًّا

وها هو ذا ابن شقيقك وقد اربته معالم الطريق حيًّا قد أخذ المقتطف على عاتقه مثالاً يحتذيه وجعل خطاك في الحياة والعمل أثراً يقتفيه

ونحن الباقين من ذويك وذوي قرباك وان لم نكن ارباب قلم فسنشحذ اهمة ونقوم بنصيبنا من العمل في الميادين التي انصرفت اليها مواهبنا وكلنا سنكون يداً واحدة في تحقيق آمالك وتنفيذ رغباتك فنم هادئاً مطمئناً في ضريحك فقد أديت الواجب ولن تسقط من المرتبة التي وضعت فيها واذا قصرنا فنحن الملومون لا انت

ايها السادة

منذ مضى اردى بالمرحوم الدكتور صروف واليأس مخيم على قلوب اسرته وذوي قرباه تتصدع صدورهم حزناً ويذوبون الماً ووجداً كلما ذكروه او ذكروا شيئاً من آثاره وما اكثر آثاره الحسنة . فهم كل يوم في حزن جديد ولدى كل ذكرى لهم انة ونحيب

ولا عزاء لهم مثل عطفكم عليهم وشعوركم معهم في مصابهم وستكون حفلة التأبين هذه بلسماً لجراحهم الدامية وبرداً وسلاماً على قلوبهم الملتهبة

فانا بلسان ارملة الفقيد العزيز ولسان اولاده وذوي قرباه ولساني اقدم واجب الشكر الى صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا والى صاحب المعالي علي باشا الشمسي وزير المعارف لتكرمهما برئاسة هذه الحفلة واقدم الشكر الخالص ايضاً الى اعضاء لجنة التأبين ونقابة الصحافة لاهتمامهم بعقدها وتنظيمها والى الخطباء والشعراء والادباء الذين ابنوا الفقيد وذكروا من اخلاقه وخلاله ما كان له اجمل وقع في نفوسنا واشكر كذلك صاحب الدولة رئيس الوزراء واصحاب المعالي الوزراء وحضرات العلماء ورجال الدين والشيوخ والنواب والموظفين وغيرهم من كرام القوم الذين حضروا هذه الحفلة او بعثوا لنا برسالة عطف او كلمة تعزية ولم يتمكنوا من الحضور

وحبذا لو كان في وسع اللغة او مقدرة اللسان التعبير الصحيح عن الشعور العميق بالجميل لاصف ايها السادة ما تكنه جوانحنا لكم من الشكر والامتنان

ولكن تقولوا اننا لن ننسى لكم هذا الجميل بل يبقى منقوشاً على قلوبنا ما حيينا . وكلما رددنا ذكره تهمي من عيوننا دمعتان دمعة حزن على الراحل العزيز ودمعة شكر لكم تعرب عما انطوت عليه قلوبنا من الطمأنينة وعلى نفوسنا من العزاء

جزاكم الله عنا خير الجزاء ولا فجعكم بعزيز